الإسلاموفوبيا : إشكالية "الخوف المتقابل" بين الغرب والإسلام

م. حسام كصّاي
كلية العلوم السياسية
جامعة تكريت (العراق)
rookbird83@yahoo.com

◇◇◇

مقدمة :

سَعى "الغَرَب الاستعمَاري"[1] إلى تَصعيَّد حدِةْ الكَرّاهية للإسّلام وإطلاق حملة مشروع التخوّف من الإسلام والترّويج له دعائياً بُغية البحث عن حجج ومبررات لغرض تحقيق مشروعه السياسي (الكولونيالي) من خلال التوّغل في العمق الإسلامي، فسياسات الاستعمار القديمة لم تعد ملائمة للمرحلة الراهنة لنفاذ صلاحيتها في ظل التقادم الزمني والتطورات الميدانية الحاصلة في العالم أجمع؛ إذ عمل على تضليل الحقائق التاريخية لغرض تشوّيه صُورةْ الإسلام وإظهاره مظهر البالي والقديم والمتخلف العاجز عن مواكبة الحداثة والاندماج في العولمة مُنطلقين من تصورات إنْ الإسلام دين عنيف أنتشر بالسيَّف والرصّاص، وقائم على القتل والإرهاب تحت عنوان "الجهاد" فلم يتوانى من إطلاق جُملة مفاهيم ومصطلحات أبرزها التهديد الإسلامي، الفاشية الإسلامية، الخطر الأخضر، الإسلام الرّاديكالي، الإسلاموفوبيا (أو التخوف من الإسلام).

وقد أكتسب مفهوم الإسلاموفوبيا شهرةْ أوسع وسجل حضوراً مُلفتاً في الأدبيات السياسية الغربية حتى أصبح عنواناً بارزاً يتصدر البحوث والكتب وورش العمل البحثية والصُحف والمجلات، تزامن صعوده بُعيد تفجر برجي التجارةْ العالمية في 11/ايلول/ 2001 أو ما سُمي بـ "غزوةْ مانهاتن" الحدث الذي أعطاه زخماً قوياً وَصُعوداً سياسياً أثر بشكل واسع على العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الغرب والأخر، وبين الغرب في داخله في التعامل مع "الإسلام الأقلي" المسلمون في الغرب (أو الأقليات الإسلامية)؛ ذلك لاعتقاد الغرب بأنْ الإرهابيون يمثلون الإسلام - لا أنْ يمثلون جماعة من المسلمين -، فيما ظهرت

---

[1] - استعمل هذا المفهوم لتمييزهم وإفرادهم عن عامة الغرب الداعين للسلام والتصالح والتعاون والدعوةْ لأحترام حقوق وحريات الأخرين في طروحاتهم وسلوكياتهم عامة.

محاولات ربط الإرهاب بالإسلام واعتبار كُل فعل مُخل بالأخلاق هو بالضرورة إسلامي أو من الإسلام، وهو أمر قائم على رؤيتين:-

الأولى: محاولة الغرب الاستعماري البحث عن عدو افتراضي لتبرير حروبه وشن هجماته على الشرق والعالم الإسلامي الغني بالثروات والموقع الجيبوليتكي أولاً، ولأنْ أمريكا دولة غاصبة فهي لا تستطيع العيش بدون محيط من الازمات والحروب.

الثانية: إن من يقف وراء هذه الحملة العدائية هم الصهيونية والمحافظين الجُدد (المسيح المتصهينين)، أبرزهم المستشرق اليهودي "صموئيل هنتنغتون" صاحب كتاب (صدام الحضارات) الذي ابتكر الإسلام كعدو مفترض وكخطر أخضر، والمستشرق اليهودي الأخر برنارد لويس صاحب مُخطط تقسيم دويلات الشرق إلى مقاطعات و"جيتوات" طائفية مُغلقة وهؤلاء يكنّون بعدائهم التاريخي للإسلام ويضعون الصراع العربي – الصهيوني[1] في مقدمة حساباتهم لاعتقادهم أنهُ البديل القادر على إنقاذ البشرية فيما لو أنتشر كإسلام معتدل ومتسامح كطبيعتهِ؛ وبالتالي أصبحت الإسلاموفوبيا الخطر الداهم الجديد الذي يُهدد الإسلام ويزيد من الكراهية للمسلمين؛ مع رد فعل مُتقابلة.

مشكلة البحث:

تكمن المشكلة الرئيسية في معرفة مدى حقيقة الإسلاموفوبيا وحجم التخوّفات من الإسلام، والتوّغل في إماطة اللثّام عن إشكالية التطرّف الإسلامي وصناعتهِ ومدى تأثير الغرب الاستعماري واللوبي الصهيوني والمال اليهودي في التصعيد من كراهية الإسلام؛ ومدى حقيقة الرّهاب الإسلامي وفق تصورات الأصولية الدينية الرّاديكالية المصاحبة للعنف والقتل والحروب والدمار.

عناصر مشكلة البحث:

هناك ثمة عناصر لمشكلة البحث هي بمثابة أسئلة مُشرعة لهذا البحث، وتأتي بصيغة سؤال هو: ما هي حقيقة التخوّف من الإسلام، هل هو تخوّف منطقي ملموس أم أنه مُجرد تَهكُمات وتكهنّات وتنبؤ بحدوث خطر ما لم يحدث، دون أنْ تخرج عن دائرة التّوجسات، وتنبثق عنه ثمة أسئلة فرعية منها: ما هي حقيقة الإسلاموفوبيا؟ من هم صناع مفهوم الإسلاموفوبيا؟ من المستفيد من تصعيد المفهوم سياسياً وإيديولوجياً؟ لماذا

[1] – اعتمادنا كلمة "صهيونية" بدل كلمة "إسرائيل"، باعتبارنا مسلمين وعرب لم نطبع علاقتنا مع غاصبي أرضنا، ونرفض الاعتراف بهم كدولة، فقولة "إسرائيل" وإطلاقها عليهم بحد ذاتها هي اعتراف لغوي منا بوجودهم وهويتهم وكيانهم داخل أقبية فلسطين المحتلة وأرض العرب.

يكره الغرب الإسلام؟ لماذا يكره المسلمين الغرب؟ ما هو دور اللوبي الصهيوني في تشوّيه صورة الإسلام؟ هل هناك علاقة بين الإسلام والإرهاب؟ هل الصراع بين الإسلام والغرب هو صراع حضارات أم صراع مصالح؟ ما هو حجم التهديد الإسلامي للغرب؟ هل العنف ديني أم إسلامي؟ هل وضع المسلمين المتردّي يجعلهم قادرين بالفعل القيام بأعمال إرهابية بحجم برجي التجارة أو قطار مدريد أو أحداث باريس وبروكسل؟

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من ثمة منطلقات؛ هي:-

1- يُعد مفهوم الإسلاموفوبيا من المفاهيم المشوّشة خصوصاً في المجتمعات الإسلامية، والمُضّللة في المجتمعات الغربية، وما زال الكثير لا يمتلك الرؤية الكافية لتحليل أو تعريف المفهوم.

2- هو من المواضيع الحديثة والمتجددة "حدث الساعة".

3- لأنْ الإسلام والمسيحية أكبر ديانتين عقائدياً، وديمغرافياً، ولأجل سلام عالمي وحوار أديان بَنّاء فمن الضرورة البحث في إشكالية العلاقة بينهما ومحاولة تقديم تعاون إسلامي غربي.

التعريفات الاجرائية

من الصعوبة البالغة تغطية الدراسة دون إحاطتها نظرياً من خلال توضيح بعض المفاهيم ذات الصلة بالموضوع الرئيس حتى يتسنى للقارئ والمُتلقي فهم الدراسة وتقييمها، ومن تلك المفاهيم:-

- **الفاشية الإسلامية:** هو مفهوم صاغهُ الرئيس جورج بوش عندما أدخل العالم في حرب مقدسة أسماها بالحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد أنْ جعلهم هدفاً سافراً له حينما وضعهم تحت يافطة "الفاشية" الجديدة في العالم النامي، وهو بذا وجه لهم إهانة دينية عندما قرن الإسلام بالفاشية[1].

- **الإسلام السياسي:** هو إعادة تنظيم الإسلام داخل إيديولوجية، هدفها التفكير في جميع ظواهر المجتمع من منظور سياسي[2] إذ ولد الإسلام السياسي في أوروبا رغبة في

[1] مؤمن الهبَّاء، الدين والحرب في زمن بوش، (القاهرة: دار الجمهورية، 2008)، ص170-171.

[2] حسين عبد القادر، "مسلمو أوروبا: أطوار التطرّف والاعتدال"، (مجموعة مؤلفين)، الإسلام الأوروبي صراع الهوية والاندماج، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2010)، ص25.

تحقيق مخزون أيديولوجي واستخدامه في المستقبل ضد أنظمة تم الهروب منها في الأمس بتشكيلهم قوة معارضة سياسية دينية في أوروبا[1].

- **الإسلام الأوروبي:** يهدف إلى ضرورة إنتاج فهم خاص للإسلام لأولئك الذين يعيشون في بلاد الغرب[2]، وهو سجال قديم قِدمَ محاولات ربط الإسلام بالعنف أو الممارسات الخارجة عن ناموسه الأصلي، أو ما اتصل بانتعاش ظاهرة "الإسلاموفوبيا"، وحيازتها أدلة تدعم شرعيتها وسؤالها[3].

- **الراديكالية:** تعني التطرّف في اللغة العربية، وكلمة مُعربة ووافدة للعالم العربي، تبدو اليوم وكأنها تعبير من الناحية السياسية على المتطرّفين نحو اليسار غالباً، ونحو اليمين أحياناً قليلة[4].

- **الأصولية:** هي مفهوم غربي كنسي مسيحي ظهر في البيئات الأوروبية أول الأمر، وهو خاص بالأوساط البروتستانتية الأمريكية، وأساس مذهب الأصولية هو الفهم البروتستانتي للعقيدة المسيحية، ومفاده إن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ[5]، فيما جاء تعريف الأصولية في قاموس المورد إنها "العصمة" ببروتستانيتها، بينما عرفها قاموس أكسفورد بإنها "حركة أرثوذوكسية تقليدية تقوم على مفهوم مضّاد لليبرالية"[6]، أي أنها بالنهاية مفهوم غربي النشأة وفد إلى البيئات العربية والإسلامية، أما تعريف الأصولية الإسلامية الجديدة (أو السلفية) فهي التي تقدم رؤية صارمة جداً وملتزّمة بحرّفية القرآن وفق التقليد الحنبلي (الأكثر حرفية بين مذاهب الإسلام)[7].

وهناك مفاهيم ذات صله ولكن بدرجة أقل يمكن تناولها في متن البحث مثل: عولمة الإسلام، ضواحي الإسلام، الهجرة الدينية، الجيتوات الإسلامية، وغيرها.

---

[1] - المرّجع نفسه، ص 31.

[2] - التي تصفها أدبيات الحركات الإسلامية الرّاديكالية المتشددة بأنها «بلاد الكفر».

[3] - موسى برهومه، "الإسلام الأوروبي أو «أوْرَبة» الإسلام"، صحيفة الحياة، الجمعة، 2015/12/30.

[4] - عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 3، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994)، ص ص 782- 783.

[5] - شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009)، ص 84.

[6]- ***The Shorter Oxford English Dictionary*** *(Oxford: Claredon Press. 1955), p.818.*

[7] - أوليفيه روا، عَوْلَمة الإسلام، ترجمة: لارا معلوف، (بيروت: دار الساقي للنشر، 2003)، ص 142.

منهجية البحث

يُعد موضوع الدراسة من المواضيع الشائه والمعقدة ومن ثم فإن منهج واحد قد لا يوفر الأرضية المعرفية الكاملة للبحث فعوّلنا على أكثر من منهج:-

1- المنهج التحليلي: يقوم على تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها وما يرافقها من مشاكل، والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، أي بمعنى أنهُ منهج يستخدم لدراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها واشكالها وعلاقاتها والعوامل المؤثرة في ذلك، هو الأقرب لدراسة ظاهرة الإسلاموفوبيا والعداء الغربي للإسلام إذ يمكنهُ أنْ يضع لبَنْات دراسة علمية ومنهجية بالتحليل لها.

2- منهج الثقافة السياسية: يشير منهج أو اقتراب الثقافة السياسية الى العادات والتقاليد والمعتقدات والهوية والانتماء والولاء, فالنظرة الشاملة للنظام السياسي يجب أن تأخذ بالحسبان بيئتهُ الثقافية إذ يتحدد سلوك الأفراد داخل المؤسسات السياسية بشكل كبير بقيمهم واتجاهاتهم السياسية[1] وهو ما يتمحور حول دراسة الإسلاموفوبيا باعتبارها مجموعة عادات وتقاليد تتصارع على الهوية والبقاء.

3- المنهج التاريخي: يُركز هذا المنهج على دراسة الماضي لفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل كاستنتاج لحالة الدراسة، ورغم قَدّامتهِ إلا إن بالإمكان التعوّيل عليه لإثبات صحة البيانات المتوفرة لجذور ظاهرة الإسلاموفوبيا والكراهية للإسلام كسياق تاريخي.

تحليل موجز للاستنتاجات الرئيسية

يلعب الرأسمال الصهيوني دوراً بارزاً في تحديد قرار المواجهة مع الإسلام بدّل التعاون؛ بسبب الكراهية التي يضمرها لهُ؛ علاوة على إن الولايات المتحدة الأمريكية هي من يتحكم بصناعة القرار السياسي الغربي دون العوّدة إلى أوروبا الخانعة لسياساتها؛ وإنْ التطرّف الإسلامي هو صناعة أمريكية مخابراتية وتمويل غربي صهيوني، والإسلاموفوبيا مفهوم مُضخم ودعائي أكبر من كونهِ مفهوماً واقعياً وأمنياً مؤثراً قائماً على معلومات استخباراتية وليس اكاديمية وبحثية علية وعملية، وهناك تخوّف من تحوّل الإسلاموفوبيا إلى عقدة داخل البيئات الإسلامية أي تخوّف من تصاعد كراهية الإسلام

[1] – د. طه حميد حسن العنبكي، نرجس حسين زاير العقابي، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية، (بيروت: منشورات ضفاف، 2015)، ص 80.

من المسلمين أنفسهم نتيجة التضليل الإعلامي[1] الذي يمتلكه ويتحكم به الرأسمال الصهيوني وآلتهُ الدعائية المُعادية والمُضّادة.

تنظيم البحث (الهيكلية)

فهي تشمل المقدمة، ومبحثين: المبحث الأول (ماهية الإسلاموفوبيا: الجذور، النشأة والاسباب والأهداف) ونتناول به تعريفات الإسلاموفوبيا وحقيقتها، وما هي الجذور والتأصيل الحقيقي لها، وماهية أسباب الخوف من الإسلام، والاهداف المرجوة من وراء ذلك.

والمبحث الثاني: (الخوف المتقابل: كراهية الغرب للإسلام بين التوّجسات والحقائق) التقصي من أسباب التحامل والكراهية للأخر في الغرب والإسلام، ودور المسيحية الصهيونية في دعم العنف والتصعيد من حجم الخطر الإسلامي والكراهية، والمؤامرة والتمويل الصهيوني في دعم مشاريع العداء للإسلام، وأثر الهجرة على العلاقة بين الإسلام والغرب وصناعة العداء ومواضيع أخرى.

المبحث الأول

الإسلاموفوبيا: الجذور، الاسباب، والأهداف

ما زال الغرب يُشكل تهديداً حيوياً للعرب والمسلمين باعتباره غزواً فكرياً للقيم والتقاليد الشرقية بدءاً من حملات الاستعمار والحروب الدينية إلى التبشير والاستشراق، والعولمة والحداثة والقيم الكنْسية وصولاً إلى الإسلاموفوبيا أو ما بعد الإسلاموفوبيا، والعرب ما زالت تنل قُسطاً وافياً من التخريب والدمار والفوضى أو على الأقل شعوراً بالحيف والمظلومية وهاجس المؤامرة[2] لدرجة أصبح الإسلام العدو التاريخي والمستقبلي الدائم للغرب، نتيجة لتصورات وضعتها العقلية الاستعمارية التآمرية (عقلية صدام الحضارات) بالتعاون مع اللوبي الصهيوني والتي رسمت صورتهُ في أذهان مواطنيها وتحشيدهم بذا الاتجاه، فيما بدأ الإسلاموفوبيا؛ كمفهوم مُحدث ومُبتدع بحاجة لمزيد من التعريف بهويتهِ حتى يتسنى لنا تسليط الأضواء على حقيقتهُ ووضع النقاط على

---

[1] - أبرز رموز التضليل الإعلامي وتفخيم حجم ظاهرة الإسلاموفوبيا: 1- فرانك غافني *Frank Gaffney* بمركز السياسات الأمنية.2- ديفيد يروشالمي *David Yerushalmi* بجمعية الأمريكيين من أجل الوجود القومي. 3- دانيال بايبس *Daniel Pipes* بمنتدى الشرق الأوسط. 4- روبرت سبنسر *Robert Spencer* صاحب منظمة "جهاد ووتش" و"منع أسلمة أمريكا". 5- ستيفن إيمرسون *Steven Emerson* صاحب مشروع التحقيق في الإرهاب.6- باميلا أندرسون- الشهيرة ببوق الإسلاموفوبيا.

[2] - الذي بات مرتكزاً أساسياً ونظرية فاعلة من نظريات الفكر السياسي الإسلامي المعاصر.

الحروف وتفكيك خطابها، ونحاول هنا توضيح الإسلاموفوبيا، وجذورها وحجم المخاوف من الإسلام، والأهداف المرجوة منها؟

1- في مفهوم الإسلاموفوبيا:

يُعد مفهوم "الإسلاموفوبيا" من المفاهيم المظلومة التي لم تنل نصيبها من التقييم والبحث والدراسة، - فهي لم تُقتل بحثاً وإنما قُتلت ظُلماً - إذ أعرب الدّارسون عن آراء مختلفة حول الإسلاموفوبيا في مناقشات مطولة وساخنة طوال الأعوام الأحد عشر سنة الماضية[1]، وعدها البعض بأنها ظاهرة مبتكرة وحديثة نسبياً، ومن المُحتمْل أن تكون على غرار Xinophobia (إرهاب الأجانب) التي ظهرت في القرن التاسع عشر والتي جاءت مشتقة من اليونانية Xeno والتي تعني غريب أو أجنبي، وكلمة Phobia تعني الرُعب أو الخوّف أو ما شابه ذلك، ويُشار إليها في قاموس أكسفورد كلمة Xinophobia بأنها كراهية الأجانب أو المخاوف المرضية من الأجانب أو الكراهية العميقة للأجانب[2] فيما جاء اليوم من غير حرج ليعني كراهية المسلمين أو الخوف من المسلمين تحديداً، فيما أصبح الخوف أحمد العوامل الرئيسة التي أثقلت ظُلماً كاهل الإسلام[3].

ومرّد ذلك تصوير الدوائر الغربية أن الإسلام المارد الجديد، والأجلاف، البدويون، الصحراويون، فتساوقت تلك الأفكار بعد الصّعود السيّاسي للأصولية الإسلامية في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينات والعنف الذي مارسته بتحريض من الغرب الاستعماري[4] وظهور ما يسمى "ارهاب الإسلام" أو "فوبيا إسلام"، أو الإسلاموفوبيا[5]، وبالتالي فالإسلاموفوبيا هي "جزء من منظومة حياكة المؤامرات والدسائس بالإسلام والعرب"[6] فيما يحمل مصطلح الإسلاموفوبيا دلالة واضحة لخلق "عدو محلي" وهذا ما تناوله "أيدوي

[1] – د. فواز جرجيس، "الإسلام السياسي وأمريكا: نصف قرن من التحالف، نصف قرن من العداء"، مجلة المجلة، لندن، العدد 1558، السنة 2010، ص 31.

[2] – رجب البنا، صناعة العداء للإسلام، (القاهرة: دار المعارف، 2004)، ص 60.

[3] – بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، ط 5، (بيروت: شركة المطبوعات، 2010)، ص195.

[4] – يجب علينا التمييز بين نوعين من الغرب، غرب استعماري وغرب مغاير ورافض حتى لعقلية الاستعمار والهيمنة ضد العرب والمسلمين.

[5] – إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشوّيه الإسلام، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2004)، ص 50.

[6] – حسام كصّاي، الإسلام الرّاديكالي بين الأصولية والحداثة، (دمشق: دار الفكر للنشر، 2016)، ص 180.

بلينيل" عن توّظيف قضية الإسلام لصناعة "عدو داخلي"[1] بمعنى إن مُصطلح الإسلاموفوبيا يعمل على النيّل من قيّم الإسلام وحضارته وتاريخه وثقافته ومحاولة وقف زحفه إلى القارة الأوروبية وتمْدده في العالم بشكل أوسع، من خلال تشوّيه صورته بين الغرب والعالم، فالقضية لا يمكن أن تُدرس بدون إيضاح الجوانب التاريخية للمفهوم وخلفية العلاقة بين الغرب والإسلام.

2 - جذور الإسلاموفوبيا:

هناك من يعتقد أن فكرة الإسلاموفوبيا تعود للعصور الظلامية من القرون الوسطى، وبعضهم يرجعها للحروب الصليبية الدينية، وأخرون لعصر سقوط الاندلس وطرد المسلمين منها، وبعضهم يعتبرها جُزءاً من مشروع الحداثة الغربية وقيم المعاصرة، فيما لم يتفق الباحثون والمراقبون بعدُ حول جذور وأصول هذا المفهوم ذلك لعدم إعطاء المفهوم حقه في البحث والدراسة والتقصي العلمي ضمن سياقاتٍ أكاديمية.

وأقرب الدلالات تُعيد جذور مفهوم الإسلاموفوبيا إلى العام 1985 حينما نشر الفاتيكان دراسة ذكر فيها أن عدد المسلمين حول العالم قد تجاوز عدد الكاثوليك لأول مرة في التاريخ[2] وهو تعبير أعطى دلالة على أنهُ مفهوم دعائي وتحذيري يؤكد أن هناك من يقف وراء التشهير بالإسلام وقيادة حملة دعائية عدائية وتموّيلها بالكامل من خلال المؤسسات والصناديق المالية والجمعيات الخيرية في أمريكا، علاوة على أوروبا ويُحدد بعض الباحثين في التقرير الذي أعدهُ المركز التقدمي الأمريكي لسنة 2011 عناوين تلك الحملات ومن يُغذيهما ويتبرع لهما والجمعيات التي تدعمها[3].

ويفضح هذا التقرير حجم الأموال التي ضُخت لتخويف الغرب من الإسلام والتي بلغت (42،6) مليون دولار لمؤسسات الفكر والرأي المعنية بالتخوّف من الإسلام بين عامي 2001 و2009[4] والمؤسف حسبما ورد في التقرير هذا أن المتقدمين بهذا الدعم والتمويل هم من جماعات الفكر الأصولي والمنظمات الأصولية الدينية بالولايات المتحدة الأمريكية

---

[1] - أيدوي بلينيل، من أجل المسلمين، ترجمة: عبد اللطيف القرشي، (قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2015)، ص 19.

[2] - د. المبروك الشيباني المنصوري، صنّاعة الأخر: المسلم في صورة الفكر الغربي: من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2014)، ص 251.

[3] - للمزيد راجع: وجاهة علي إيلي (وأخرون)، التخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): جذور شبكة التخوف من الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، (واشنطن: المركز التقدمي الأمريكي، 2011)، ص 8.

[4] - المرجع نفسه.

وهو أمر مُلفت إذ كيف لأصولية دينية تقبل التطرّف والتشدّد لنفسها وتمنعهُ على الآخر رغم قناعتنا بأنْ الأصوليات الدينية واحدةٌ في كُل الأديان السماوية، والحال ليس بأحسن منهُ في بريطانيا أو فرنسا أو هولندا أو السويد، فالمخططات الغربية باتت واضحة ومُعلنة بعد هيمنة المسيحية الصهيونية – التي تعتقد أن الأمريكيون هم شعب الله المختار اختيروا لفرض مشيئتهُ على الأرض[1] – على القرار السياسي الغربي، والتحكم بصناعة القرار الغربي من خلال وفرةُ رؤوس الأموال التي أحكموا فيها قبضتهم على الإعلام الغربي والعالمي بجدارةُ ناهيك عن العقيدةُ الدينية التي رسخت قيمها الأصولية البروتستانتية ومجموعة عقائد لاهوتية بقيام امبراطورية المحافظين الجدد لإدارةُ حكم العالم وبناء الهيكل في فلسطين وصولاً لمعركة هرمجدون النووية[2] التي عُرفت في رأي العديد من المنظرين بأنها معركة دينية بين الإسرائيليين والمسيحيين والمسلمين[3] لهذا بدا التحامل والإسلاموفوبيا في وسائل الإعلام الغربي وكأنها التمهيد لكسب تعاطف العالم ضد المسلمين لكسب معركة الخلاص.

3- أسباب بروز ظاهرة الإسلاموفوبيا:

ثمة عوامل واسباب دفعت الغرب إلى التصعيد من كراهية العرب والمسلمين وأخذت تلك المخاوف تتزايد باضطراد بعد وفرةُ جملة من الأسباب عملت على ارتقائها وصعوّدها، من بينها:

1 – تزايد هجرةُ المسلمين وتدفقهم إلى الغرب[4] أي أن الخوّف الذي يُثيرهُ المسلمون راجع لكثرتهم العددية[5] في أوروبا والعالم مع الزيادةُ الملحوظة في نموهم السكاني قياساً بالجماعات الأوروبية المتحضرةُ.

2 – تدهور الموقف الغربي من المسلمين بعد ورود تحريفات احصائية تُشير إلى تزايد المد العلماني وتصاعد أعداد المسلمين مع تناقص أعضاء الكنيسة وهو ما زاد من

[1] – محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي، (دمشق: النفائس)، ص 7.

[2] – راجع: جريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، ط 3، (القاهرة: الشروق، 2003)، ص 12.

[3] – كارلوتا جيزن، معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب في التوراة والانجيل والقرآن، دراسة وترجمة: أحمد علي أحمد علي، (القاهرة – دمشق: دار الكتاب العربي، 2002)، ص 114.

[4] – د. معتز الخطيب، "ظاهرة كراهية الإسلام: الجذور والحلول"، مجلة ثقافتنا للدراسات والابحاث، المجلد الخامس، العدد 17، 2008، ص 56.

[5] – أيدوي بلينيل، مرّجع سابق، ص ص 21-22.

مخاوف "أسلمة" الغرب[1] وعودة صورة الاحتلال الإسلامي "الفتوحات الإسلامية" إلى الأذهان.

3- أن المنظمات الإسلامية وجماعات مراقبة حقوق الإنسان والسياسيون هم أول من تبنى الإسلاموفوبيا كمفهوم، ومنذ ذلك الحين أصبحوا من أهم المدافعين عنه داعين لضرورة معالجة الزيادة الكبيرة في الشعور بالكراهية ضد المسلمين[2] وهو أمر مُلفت ومثير للدهشة!

4 - رغبة الغرب من عوّدة أمجاد الاستعمار القديم ولكي يُناسب الاستعمار الجديد موّضة الحداثة والعولمة والتنوير كان يتحتم عليهم أن يجدوا ذرائع ومبررات لاستعمار المنطقة العربية والإسلامية، فاصطنعوا "عدو افتراضي"، مع حملة إعلام عدائية - عدائيه، حتى أصبحت الإسلاموفوبيا في المستقبل القريب عماد الاستراتيجية الغربية[3].

5 - هناك مخاوف ثقافية ودينية واقتصادية وسياسية تقف وراء الإسلاموفوبيا، مثل: تمسك الفتيات المسلمات بالحجاب أو النقاب، بناء مساجد، أمر يعني تغيير في معالم المسيحية لصالح الإسلام[4] أمر يدفع لتبرير التحامل وأحقيتهُ أحياناً.

6 - هناك قلق يساور الغرب إزاء المُهاجرين المُسلمين، الذين يتمتعون بالثرّاء ونشاط سياسي عجزوا عن تنظيمهم في داخل أوطانهم، فوجدوا مناخاً رحباً لتنظيمهم في المنفى، الأمر الذي خلق أسباب قلق أوروبي (تزايد أكثر في أمريكا) إزاء نشاط "الأصوليين" من جانب اللاجئين السياسيين[5].

7 - ثمة ما يُثير هاجس الغرب من حالات "الارتداد إلى الإسلام" من قبل باحثين ومفكرين أجانب كبار، أطّلعوا على الإسلام فآمنوا برسالتهِ أمثال: مراد هوفمان، روجيه غارودي، بول فندلي، وغيرهم كثيرون، فبلوّرة صورة مُزيفة عن الإسلام وإثارة التحامل

---

[1] - معتز الخطيب، مرّجع سابق، ص 57.

[2] - د. فواز جرجيس، مرّجع سابق، ص 31.

[3] - عبد الغني سلامة، "عصر الثورات العربية: الأسباب والخصائص والتداعيات"، مجلة شؤون عربية، القاهرة، العدد 148، 2011، ص 56.

[4] - جون ل. إسبوسيتو، التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة؟، (القاهرة: مركز المعلومات والدراسات، 1995)، ص ص 287-287.

[5] - جراهام إي. فوللر، إيان أو. ليسر، الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة، ترجمة: شوقي جلال، (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، 1997)، ص 64.

عليه والتخوّيف منه من شأنهُا أن تُخفف من حدةُ المُتحوّلين إلى الإسلام في صفوف المثقفين الغرب.

علاوةً على كل ذلك، فأن العالم تقوده الأحادية القطبية وتهيمن على القرار العالمي دولة كالولايات المتحدةُ فهي تسعى دائماً وابداً لتوسيع رقعة إمبراطورتيها فلا بد أذن من تبرير حجة للتوسع وشرعنة الحرب فلم تجد خصماً يحل محل الشيوعية (الخطر الأحمر) غير الإسلام (الخطر الأخضر) الذي من الممكن أن يُشكل كتلة ممانعة حقيقة أمام مصالحها في العالم خصوصاً تحقيق أمن إسرائيل.

4 – المبدأ العلماني والإسلاموفوبيا:

تسري المخاوف من الإسلام بالاتجاه الذي يجعلهُ محط أنظار العالم من جانب، وتحّين الإيقاع والتربص به من جانبٍ أخر، ما هي إلا محاولة غربية إمبريالية لنزّع القدّاسة عن الإسلام لحسابات عدةُ أقلها إن الإسلام هو أكبر مشروع حضاري تنموي لنهضّة وقيادةُ العالم لو توفرت شروطهُ الأساسية وهذه هي التبريرية لمشروع الإسلاموفوبيا المطروح بتلك القوةُ الدعائية والمُمنْهجة التي وُظفت لها وسائل الإعلام وأموال طائلة ضخمة لتمويلها، فيما يحاول الغرب حجب هذا المشروع عن تلك الطموحات المشروعة، والسعي إلى فصل العقيدةُ الروحية عن الواجب الوطني للمسلم الأوروبي، كما أشار فوكوياما بالقول إننا نريد حرباً داخل الإسلام تجعلهُ إسلاماً ليبرالياً، حداثياً، علمانياً، يقبل المبدأ المسيحي: "دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"[1] ليتسنى له قبول أطراف للعلمانية بدون قيد أو شرط، وهذا ما لم يصب لا في صالح الإسلام ولا مُسلمي أوروبا والعالم للاختلافات اللاهوتية بين الإسلام والمسيحية ناهيك عن الاختلاف الناسوتي بين كلا البيئتين وظروفهما.

فيما بدأ مُسلمو الغرب يُدركون أهمية الحماية العلمانية لحقوقهم الدينية ومعتقداتهم السياسية في الغرب، بالوقت الذي لقيّ المسلمين في أوطانهم مصرعهم بسبب معتقداتهم[2] دون القناعة التامة بأهمية الحفاظ على تلك العلمانية فالسلفية الجهادةُ والقاعدةُ ما انفكت من سب ولعن العلمانية متناسية فضائلها في ترسيخ "إسلام أوروبا" وتمددها في بيئتها الأم بفضل بركات الغرب نفسه، بغض النظر عن كون نتيجة الحماية تخطيط غربي أو إنهُ جاء بحسن نيه، يُرجح الأخير الشيخ راشد الغنوشي بالقول: من باب

[1] – د. محمد عمارةُ، الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ: دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرةُ للإسلام، (القاهرةُ: المركز الإعلامي العربي، 2006)، ص 24.

[2] – جراهام إي. فوللر، الإسلام والغرب، مرّجع سابق، ص ص 108-109.

العلمانية والتقدم والقيم الإنسانوية دخل الإسلام ديار الغرب[1] ولو كانت هناك دولة دينية "ثيوقراطية" حقيقية في أوروبا لمنعت كل الطقوس والشعائر الدينية غير المسيحية ولأنتهينا بدون مسلمي أوروبا والغرب عامة.

بمعنى أدق أظهرت العلمانية ضرورة قصوى في الغرب - كما الشرق - لكن بشروطها العربية والإسلامية، علمانية مُتصالحة مع الدين ونابعة من واقع عربي مُحض لمعالجة إشكاليات عربية وإسلامية بحته غير مستوردة، علمانية لا تعني أنها دين أو مذهب ديني بقدر ما تكو مبدأ مدني وإداري لحل إشكاليات الفكر العربي الإسلامي المعاصر، فالعلمانية هنا بشكلها الآني خففت من حدة الإسلاموفوبيا، لكن ليس بمقدورها الصمود للنهاية.

فيما ينبغي اتباع ثمة خطوات - للتخفيف من حدة الإسلاموفوبيا واستيعاب صدمتها - من بينها قبول الواقع الغربي للمسلم المهاجر، والاستفادة من حداثة الغرب والتنوير بالقدر الذي يُحافظ على ثوابت الإسلام ولا يُعكر الذائقة العربية الأصيلة، فالعلمانية لا يجب أن تُهان وتُرفض لمجرد نشأتها الغربية، بل الأفضل أن نأخذ بمنافعها وندفع أضرارها، فهي ليست ضارة بمجملها ككل الظواهر السياسية، فلها جانب مشرق وإيجابي مهما كانت مُضرة ومن أجل خوض معركة جدية ضد الإسلاموفوبيا يتطلب خطابا أكثر عقلانية وأقل دوغمائية، يحترم حقوق الإنسان والحريات الأساسية بشكل مبدئي لا بشكل انتقائي[2] فالمسلم الأوروبي أصبح أكثر حرية وتعبير وممارسة لطقوسهُ الدينية في البلدان العلمانية من المسلم العربي أو الشرقي الذي يُقيم في أوطانه الأم[3]، في دول إسلامية ما بات يُمنْع على المسلم تأدية الصلاة بدون موافقة أمنية مُسبقة أو إخطار خطي من أمن الدولة، ناهيك على ظاهرة هدم المساجد وحرق المصاحف بأيدٍ دينية إسلامية طاهرة ومقدسة[4]!!

---

[1] - د. هيثم مناع، "الإسلام في أوروبا إعادة اكتشاف الذات"، (مجموعة مؤلفين)، الإسلام الأوروبي صراع الهوية والاندماج، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2010)، ص17.

[2] - د. هيثم مناع، "الإسلاموفوبيا والعلمانية الديمقراطية"، موقع الجزيرة، في يوم الثلاثاء،2016/8/30، الساعة 4:55 صباح بغداد، على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net

[3] - ستبدو لنا أن ظاهرة الإسلاموفوبيا أصبحت تشكل جزء أصيل من ثقافة العرب الدينية، الخوف من إرهاب الإسلام بات يدور في أذهان المسلمين في داخل أوطانهم الإسلامية بسبب بممارسات الجماعات الإسلامية المتشدد.

[4] - بدت ظاهرة هدم المساجد ملاصقة لفكر الإسلام السياسي الراديكالي وللجماعات السلفية فيما بينها الشواهد حاضرة وبقوة في العراق، نسف جامع النبي يونس، وجامع النوري؛ أقدم جوامع مدينة الموصل شمال العراق على يد قوات "داعش".

5- الأهداف المرجوة من الإسلاموفوبيا؟:

شُرع العمل بتصنيع ظاهرة الإسلاموفوبيا لتحقيق أهداف معينة وهذا أمر طبيعي ليس لنظرية المؤامرة في العقل الإسلامي، وإنما لنظرية "صدام الحضارات" في العقل الأمريكي والغربي عامة، ومن أبرز تلك الأهداف هي: أولاً: محاولة إقناع العالم أن العرب والمسلمين قاصروا الفهم والرؤية ويعانون من جهل عام، بحاجة إلى وصاية دولية أو بالأحرى أمريكية استعمارية، ومن هنا فهم حققوا شروط استعمار البلدان العربية والإسلامية تحت عنوان حماية حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية وحماية حقوق الأقليات، ثانياً: تعزيز نظرية الفوضى الخلاقة وترجمتها على أرض الواقع عبر أداوات إسلامية لن تبعث التشكيك بمصداقيتها، حيث مثلت الطائفية في البيئات العربية بمثابة الممارسة العملية لفكر ونظرية الفوضى الخلاقة، ثالثاً: تبرير السلاح الإسرائيلي واستعمالاته لضمان التفوّق الصهيوني ديموغرافياً في المحيط العربي بعد ضمان تفوقهُ سياسياً واقتصادياً وأميناً؛ سعياً لأوهام اللاهوت المسيحي المتصهين وسفر الرؤيا لأتمام نقل اليهود لفلسطين وإعلان القدس عاصمة إسرائيل وإعادة بناء الهيكل والتهيئ لمعركة هرمجدون الفاصلة[1] لهذا تبنت الصهيونية فكرة الإسلاموفوبيا[2]، رابعاً: لم تكن الاسلاموفبيا حكراً على الصهاينة وتحقيق أهدافهم، بل أبعد من ذلك أنها مسعى للتربح والكسب السياسي لدى بعض الباحثين والمختصين وتعدى لكونهُ نوع من الهوس لا نوع من الخوف من الإسلام[3]، وظهور فكرة "أعلمة الإسلام" ليكون مادة خبرية تحليلاً ونقداً ليكتسب وراءها الشخص نجومية وشهرة وثروة. خامساً: هناك من يعتقد أن الهدف من وراء الإسلاموفوبيا في أمريكا هو تبرير الحروب الخارجية، أي أنها تحولت إلى أن الإسلاموفوبيا تحولت من غطاء سياسي استخدمته الولايات المتحدة في حروبها الخارجية؛

[1] – فهم يسعون إلى تنفيذ مشروع المستشرق اليهودي برنارد لويس لتقسيم الدول العربية لدويلات طائفية متناحرة، يجب ألا يفوّق عدد سكان كل دولة مُستحدثة نسبة عدد سكان الكيان الصهيوني، كون الكثرة السكانية العربية ما زالت هاجس يُثير مخاوف الصهيونية والغرب.

[2] – بول فندلي، مرجع سابق، ص 86.

[3] – أشرف عثمان بدر، الصهيونية والغرب من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2016)، ص 34.

للبحث عن البترول، والسيادة تحت اسم الحرب على الإرهاب، إلى "حالة نفسية" مجتمعية[1]،

فتجلى ذلك كُلهُ في صنع كراهية متقابلة بين الشرق والغرب، والإسلام والمسيحية، كان للغرب دور في صناعة العداء.

6 - الظاهرة بين التخيُّل والموضوعية :

غالباً ما تكون ردود الفعل والانتفاضة من الداخل أقوى وأكثر وقعاً وعمقاً جيوسياسياً، بحكم منطق الحال والقُرب من الحدث والتأثير البالغ، وبالرّغم من سيطرة رأس المال اليهودي (الصهيوني خصوصاً) على وسائل الإعلام إلا إن هذا لا يمنع من تعالي الأصوات الداعية لتُفنيد وتُكذيب ادعاءات السياسة الخارجية الغربية حيال العرب والمسلمين، فيقول "إنجمار كارلوسون"[2] : إن تحوّل الإسلام إلى عدو للغرب إنما يتوقف في المقام الأول علينا نحن الأوروبيين ذلك أن العنصرية وعدم التسامح والقومية المتزمتة تستفحل بشدة في سائر انحاء أوروبا كرّد فعل؛ على الهجرة المتوّاضعة والصغيرة مقارنة بالتوقعات المستقبلية[3] وإن الغرب يربط بين ظاهرة العنف والإسلام المتطرف وينظر إلى العرب بأنهم يرعون الإرهاب تخييلاً لا موضوعياً وبلا سنداً علمياً، والحقيقة إن الإرهاب ذو الطابع الإسلامي لا يمثل سوى جزء من الإرهاب العالمي[4] فليس هناك إرهاب محتكر لدين أو مذهب أو أصولية، الغرب مارس الإرهاب قبل المسلمين إبان القرون الوسطى، وفكرة الجهاد ليست حكراً على الإسلام، كل الديانات ترفع شعار الجهاد لتحقيق أهدافها، ولم يحصر التعصب بالإسلام[5] فيقول "الكفاح الذي هو جهاد ليس أحد ملامح الإسلام فحسب، وإنما سمة من سمات كل الأصوليات"[6] فيما يتوقف نقد ورد هذا السلوك حيال المسلمين على أمرين: إما أن يعتبر الغرب أن التطرّف الإسلامي حالة طبيعية، كالتطرف المسيحي أو

---

[1] - ستيفن شيهي، الإسلاموفوبيا الحملة الإيديولوجية ضد المسلمين، ترجمة: د. فاطمة نصر، (القاهرة: دار سطور الجديدة للنشر، 2012)، ص 214.

[2] - دبلوماسي سويدي أنصف الحضارة الإسلامية.

[3] - انجمار كارلسون، الإسلام وأوروبا تعاون أم مجابهة، ترجمة: سمير بوتاني، (القاهرة: دار الشروق الدولية للنشر، 2003)، ص 6.

[4] - جراهام إي. فوللر، الإسلام والغرب، مرّجع سابق، ص 87.

[5] - هاشم صالح، مُعضلة الأصولية الإسلامية، ط 2، (بيروت: الطليعة، 2008)، ص 110.

[6] - بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة: أحمد محمود، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة: سلسلة المجلس الأعلى للترجمة "42"، 1999)، ص 241.

اليهودي، كإنصاف للحقيقة، أو أن يتوقف الغرب الاستعماري عن إثارة تلك الزوبعة الإعلامية المدوية التخيلية.

ومرد هذا ناجم عن مجافاة الغرب لحقيقة الإسلام عمداً، فيما نعتقد أن الغرب سيظل يعاني من أزمة غياب الحقيقة بخصوص الإسلام وما يحيط به هو وذلك لسببين إما أنهُ لا يريد معرفتها، أو إن منهجهُ الأمني في تقييم الحالة هو منهج تخيلي، مؤدلج ومُسيس لا حيادي ولا موضوعي ولا يمتلك سند علمي، وبالتالي لا يُقدم نتائج منطقية فيتحمل وزر الأخطاء.

المبحث الثاني

الكراهية المتبادلة: الغرب والإسلام، ودور الصهيونية في توظيف العداء

يعاني العقل الغربي من عُقدة عدم تجاوز المسابق التي تستحوذ على التصوّر الغربي لرؤيتهُ تواجد الإسلام فيه، فالإسلام هو الكنيسة في عصر طغيانها القرسطوي[1] بكل تفاصيلها وذاك أمرٌ مُسيطر على تركيبة العقل الغربي رغم حداثتهِ فهو ما زال حبيس تراث الماضي وتصورات القدّامة، فيما تبنى الإعلام الغربي تلك الصورة في شكل ظاهرة جديدة ومحدثة "أعلمة الإسلام"[2]، كمادة خبرية مدفوعة الثمن للتشهير بالإسلام والترويج ضدهُ، إذ رسم الإعلام الغربي صورة مشوّهة عن العرب والمسلمين على أنهم أجلاف، متخلفون، نهمُون للجنْس، موّلعون بالحروب، مُتعطشوّن للدماء، ويلخصون شخصية العرب المسلمين أنهم يتّسمون بالغدر والخيانة، ويميلون إلى العنف واستعمال القوة، يضيقون بغيرهم من الديانات لا سيما المسيحية واليهودية[3]، فيما يوُصمُون الإسلام بشعارات بارزة ومثيرة للجدّل مثل "الإسلام المسلح"، "الأصولية الإسلامية"، "الإرهاب الإسلامي"[4] "الفاشية الإسلامية"، "الإسلام الرّاديكالي" وغيرها من الشُبهات، وحملة التشهير والتحقير قلما تعرض لها الإسلام في تاريخه الطويل، والراعي لذلك هو العولمة –

[1] – عز الدين عناية، نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2010)، ص 96.

[2] – أي جعل الإسلام المادة الخبرية للإعلام السمعي والمرئي والمقروء والمكتوب.

[3] – د. مهدي فضل الله، الخطاب الغربي المعاصر تجاه الاسلام والمسلمين والخطاب الإسلامي المقابل، (بيروت: دار الهادي للنشر، 2009)، ص 14.

[4] – جون ل. إسبوسيتو، مرجع سابق، ص 276.

كما سنوضح ذلك لاحقاً – والكيان الصهيوني[1]، ومُحافظيه الجُدد، شواهد المسيحية الصهيونية بالتنكيل بالعرب كثيرةٌ ينوب عنها قول "ايريك هرستاديوس": "لو أن مائة ألف عربي قتلوا لما انتابني أى شعور غير عادي. أما بالنسبة لقوات الحلفاء فالأمر مختلف؛ لأني أشعر بالتعاطف معهم ومع أسرهم. إن العرب يبعثون الخوف في نفسى على أية حال"[2] ولندسي، والبشر فوريال، وريغان، وجورج دبليو بوش، وكل تيار المحافظين الجُدد الذي أثبت أن البعد الديني (الصهيوني) هو المتحكم في صناعة السياسة الأمريكية وفي ممارستها[3] فكل الأفكار المتحاملة للعرب والمسلمين مرجعها الأصولية المسيحية الصهيونية والتي تعود للقرون الوسطى وعهد الحروب الدينية، فيما الإصلاحي "مارتن لوثر" أول من أسس لهذه الفكرة "المسيحية الصهيونية" والذي عمد على تهويد المسيحية عندما أصر على اعتماد العبرانية بدلاً من كتاب العهد الجديد[4] الذي يحكم العالم اليوم وراء عنوان "الولايات المتحدة الأمريكية".

1 – اللوبي الصهيوني وتصعيد التحامل ضد الإسلام:

يُعرف اللوبي الصهيوني بكونهُ منظومة مُتعدّدة القوى تضم كيان إسرائيل، وجماعات اليهود الأمريكيّين، وحلفائهم في الحكومة، ومجموعات ذات اهتمامات خاصة موالية للصهيونيّة[5] زاد نفوذهم بمرور الزمن بعد اغتصابهم أرض فلسطين ودعم الغرب الاستعماري لهم لدرجة يستحيل الحديث عن هيمنة استعمارية في المنطقة إذا لم يكن اللوبي الصهيوني فاعلاً وحاضراً بقوة.

وللصهيونية دور بارز في رسم كثير من ملامح العداء والكراهية للمسلمين بدءٍ من فكرة طردهم من أوروبا إلى توطينهم، موظفين اللاهوت في خدمة الناسوت، محرفين للمسيحية والنصوص الدينية، ففي حدود الإمبراطورية الامريكية كان دور الصهيونية

---

[1] – د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد 11 سبتمبر 2001، (القاهرة: دار الشروق للنشر، 2004)، ص 19.

[2] – نقلاً عن: أنجمار كارلسون، مرّجع سابق، ص 13.

[3] – محسن دلول، أميركا الإمبراطورية المُضطربة: هل يصلح أوباما ما أفسده بوش؟، (بيروت: دار الفارابي للنشر، 2009)، ص 62.

[4] – "المسيحية المتصهينة: أصولها وجذورها: هل كان كالفن يهودياً؟"، مجلة معلومات، بيروت، العدد 104، 2012، ص 92.

[5] – جانيس ج. تيري، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: دور جماعات الضغط والمجموعات ذات الاهتمامات الخاصة، ترجمة: حسان البستاني، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006)، ص 118.

حاضراً لما حددهُ مؤسسها الروحي "تيودور هرتزل" الذي يقول واصفاً الصهيونية: "استحكام محصّن أمامي للحضارة الغربية ضد برابرة الشرق"[1] تبعاً لذلك لا بد من الكراهية والتحشيد ضد العرب للدخول في حرب دائمة معهم كخطر جديد رسم صموئيل هنتنغتون دوائر خُضر بدل الدوائر الحمر على خارطة الشرق الأوسط، وذلك لا يتم من غير إثارة الفتن والقلاقل في الشرق والتشهير بهم وتشوّيه صورة الإسلام – أغلب تكتل ديني وسياسي في الشرق الأوسط والأكثر أهمية وموقع جيو سياسي – من أجل التحامل عليه، فالإسلاموفوبيا هي زيادة التحامل على الإسلام بمجرد التخوّف أو التخمين والتخيَّل بحصول أمر متوقع لكن لم يحدث أصلاً.

يدعم فكرتنا كيف لا يتم ذلك تأثير رئيس وزراء إسرائيل على السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الأسط الذي يفوق بكثير تأثيره في بلاده نفسها[2] الأمر واضحٌ وجليٌ للدور الصهيوني في تشوّيه مُتعمد لصورة الإسلام ليس في الغرب وحسب وإنما حتى في المنطقة العربية ذاتها، إذ عُدت قضية الارهاب المُرّتبط بالتطرّف الديني أو الطائفية – بما هي الاستخدام الخاطئ للدين في السياسة – بأنها اهم اركان استراتيجية شل قدرات المجتمع العربي وتفكيكه وتجزئته وإعداده لقبول الهيمنة الصهيونية[3] والحرب على العراق نُفذت بناء على توصية يهودية من أجل تحقيق المصالح الصهيونية[4] وإثارة الفتن تحت عنوان "ثورات الربيع العربي"[5]، ناهيك عن إسهامات الكيان الصهيوني في تمزيق ما تبقى من من فلسطين للعرب على استمرار تجزئة وعدم تحقيق وحدة العرب والدور بارز بعد تحالفها مع القوى الإمبريالية وفي مقدمتها أمريكا[6]، إذ حاول الفكر الصهيوني تشوّيه صورة العربي المسلم بشكل مُزّيف لزيادة الكراهية عند الغرب بحكم تأثيره ونفوذه، وتمثلت صور التشويه بثلاث اتجاهات: خطاب موجه إلى اليهود: للانحطاط من الشخصية

[1] – نقلاً عن: وجيه غارودي، الولايات المتّحدة الامريكية طليعة الانحطاط: كيف نجابه القرن الحادي والعشرين، ترجمة: صيّاح الجهيم، ميشيل خوري، (بيروت: دار عطية للنشر، 1999)، ص 11.

[2] – نقلاً عن: روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، تقديم: محمد حسنين هيكل، ترجمة: محمد هشام، ط 4، (القاهرة: الشروق، 2001).

[3] – د. برهان غليون، العرب ومعركة السلام، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999)، ص 169.

[4] – جون ميرشامير، ستيفن والت، حرب الأفكار واللوبي الصهيوني في أمريكا، ترجمة: مدحت طه، (. م، د. ت)، ص 85.

[5] – راجع كتابنا: ما بعد الثورات: ربيع عربي أم خريف إسلاموي، (عمان: دجلة ناشرون، 2016).

[6] – د. أحمد سعيد نوفل، دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، ط 2، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، ص 7.

العربية واظهار تفوّق الشخصية اليهودية عليها. وخطاب موجه على الصعيد الدولي: عداء تاريخي يبرر العداء العربي للغرب على انه عداء يكمن في شخصية وبيئة العربي نفسه. خطاب موجه للعرب انفسهم: على انهم امة متخلفة وغير قابلة للتطور[1]، وهذا سياق لا يحتاج لتأكيد فالغرب نفسه أطلق حزمة مسميات (الإسلام المسلح، الاصولية الإسلامية، الإرهاب) وربطها بالإسلام[2] فيما أختصر كل أفعال الأصوليات الدينية العدوانية بهِ، رغم أن الأصولية تحمل معنى دلالي بخصوص صنف معين من البروتستانت المقاتلين[3] وروجت لثقافة أصولية بروتستانتية دينية محضة تحمل مشعل "المقاتل"، القتال جوهري لديها[4]، مع ذلك تتهم الأخرين بالعنف والإرهاب ولا تحمل نفسها سبب أنتشار العنف الأصولي والإرهاب الديني وصعود الأصولية الإسلامية (السلفية الجهادية).

2 - هل العنف ديني أم الإسلامي؟:

يُشار للعنف بأنهُ استخدام وسائل القوة والقهر أو التهديد بها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والمُمتلكات وذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة[5] لا أخلاقية، والعنف لا يولد لوحده أو يتحقق ذاتياً، كسيرورة تاريخية أو تقادم زمني، بقدر ما هو جُمْلة عوامل ومُسببات، تتضافر الجهود والظروف ليتحقق شروطه العملية في ظل غياب العدالة أو القوة العادلة، وأخطر أنواع العُنف ذلك المُقترّن بالدين والمُقدّس، يُطلق عليه العنف الإسلامي على الأغلب، ومحورهُ الجهاد الذي يعطي معنى الجهاد في سبيل الله في الإسلام، والحروب الصليبية المقدسة في المسيحية، طابع القداسة أفتى بأحقية العنف وشرعية القتال.

لا ننكر إن العنف الديني - في جزء منهُ - نابع من عوامل محلية من داخل البيئات الإسلامية، كالتأويل الخاطئ للنصوص الدينية، وغلق باب الاجتهاد، الجهل في فهم جوهر الدين، والاعتماد على تفسيرات الموتى، اختصار القرآن في ثمة "آيات السيف"، التمسك بالثانويات وشكليات الإسلام ومجافاة الجواهر والمضامين، وكلها عوامل مرتبطة بتوّظيف

---

[1] - المرّجع سابق، ص 34.

[2] - جون ل. إسبوسيتو، مرجع سابق، ص 276.

[3] - جورج م. مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايفانجلكية، ترجمة: نشأت جعفر، ط3، (القاهرة: الشروق الدولية للنشر، 2004)، ص 15.

[4] - جورج م. مارسدن، مرجع سابق، ص 11.

[5] - *Alex p. Schmid, **political Terrorism** (Amsterdam: North -Hol- land: 16, publishing Company, 1983), p. 12.*

الدين في السياسة، وتحول لأن يعلب دور الوسيلة بدّل الغاية، لكن لا ننكر أيض إن العوامل الخارجية كانت صاحبة الدور الأكبر في ترّقية العُنف، وربطهِ بالإسلام، وهو تصور واقعي يراه الساسة الغرب وجمهورهم الذين يميلون للنظر إلى العالم الإسلامي باعتباره مكاناً توّطن فيه العنف السياسي[1] لحق به صورة العنف الإسلامي أو العنف المرتبط بالإسلام، فيما بعد ليشكلا منظومة إرهاب بحاجة لقانون مكافحتها، (قانون مكافحة الإرهاب) الذي وضع الإسلام محور فكرتهِ، (أرهبة الإسلام)، الأمر الذي فاقم الأزمة في العالم، فلكل فعل ردة فعل وخيار استخدام القوة العسكرية في كل شاردة وواردة من شأنهُ أنْ يؤدي إلى زيادة أعمال مُخله بالسلام والانتظام العام[2] ومفتاح لبوابة العنف والقتال والإرهاب، فشكلت الإدارة الأمريكية عملية مرابطة ناجحة بين الإسلام والتطرف، فجاء "الإسلام الرّاديكالي" مُتمْماً للرّغبات الأمريكية؛ ومحققاً لمشروعها السياسي والاقتصادي والثقافي كـ "غزو فكري"[3] وسلخ تام للقيم وانتزاع للهوية الحضارية للإسلام الحقيقي[4] وعودة لحديث الأمريكي التنويري بنجامين باربر وفندلي واسبوسيتوا وغيرهم لا يمكن اعتبار العنف إسلامي، وقوله عنف ديني أمر مقبول، فكل الأديان كأصوليات مارست العنف بل وسبقت الإسلام به.

دون أن يُنكر أحد دعم الغرب للإرهاب، حتى هجمات 11/ سبتمبر/ 2001 مشكوك في مصداقيتها، إن لم يكن هناك دعم وتمويل غربي مخابراتي واضح، والعديد من مُسلمو أوروبا انضموا إلى القاعدة للقتال وقبلها في طالبان وجيل الأفغان العرب هم أجانب منسلخين عن القيم الحضارية للإسلامية ومنفصل لديهم المعلم الثقافي عن الديني استشهاداً بالعولمة الغربية تارة، وبالأصولية الدينية تارةٍ أخرى، وبالتالي فهم مواطنون أوروبيون وليسوا مواطنون عراقيون أو مغاربة أو مصريون أو سعوديون، ولأن العنف مُكتسب وليس مورث، فالبيئة الغربية هي المسؤولة عن تطرّفهم سواء بتجاهلهم أو بتدريبهم وتمويلهم، وليس العرب على أكثر تقدير.

---

[1] – جراهام إي. فوللر، الإسلام والغرب، مرّجع سابق، ص 75.

[2] – محسن دلول، مرّجع سابق، ص 40.

[3] – حسام كصاي، الإسلام الرّاديكالي، مرّجع سابق، ص 172.

[4] – أثبتت دراسات من الواقع الغربي بأن حجم الخطر الإسلامي مهول ومفبرك ولا يستند لعلمية أو منهجية حقيقية بل مجرد توقعات، توجسات، مخاوف، تخيلات، تنبوءات، تهكمات، وهذه لا يمكن اعتمادها في السياق العلمي والموضوعي، لتوضيح حجم أكثر دقة عن العنف والخطر الإسلامي ووزنهُ الحقيقي راجع: جون ل. إسبوسيتو، التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة؟، (القاهرة: مركز المعلومات والدراسات، 1995).

3 - الهجرة: إشكالية أم هاجس؟:

فكرة الغرب السائدة أن المُهاجرين سيساهمون في خلق حواضن للإرهاب ومصدر قلق لأوروبا ساور ذلك فكرة التحامل "أعلمة الإسلام"، حتى ضاقوا ذرعاً من الهجرات (الدينية خصوصاً)، الأمر الذي دفع بالولايات المتحدة وبعض دول أوروبا كفرنسا، ألمانيا، هولندا إلى اتخاذ قوانين صارمة للحد من الهجرة أو طرد المهاجرين إليها أو إجبارهم إلى الاندماج القسرّي[1] ليتسبب ذلك في أزمة هوية حقيقية صفوفهم محيرين في الاختيار بين هوية محلية وهوية عالمية محدثة، أربكت حياتهم اليومية رغم أنهم ما زالوا غير منتظمين سياسياً ولم يتماسسوا بما فيه الكفاية حتى يُطلب منهم الاندماج في المشروع الغربي برؤيتهُ وتصوره هو[2] وهو أمر زاد من قطيعة العلاقة بين الإسلام والمسيحية.

فيما أثرت الأوضاع الداخلية والخارجية للهجرة على العلاقات بين الإسلام والغرب، وتغير المناخ في المنطقة العربية وصعوّد الإسلاميين في الجزائر ومصر وتدهور مناخ العلمانيين في تركيا وبلدان أسيا الوسطى أدى إلى تدفق سيول هجرة جديدة من اللاجئين من أبناء الطبقة الوسطى والسحيقة وظهور "لاجئي القوارب" في البحر المتوسط الفارين من الفوضى والتعصب والاوضاع المعيشية الصعبة[3] مما شكل عبء ثقيل على تلك مُستقبل تلك العلاقة.

بينما شكلت أصعب انواع الهجرة هي الهجرات الروحية أو الدينية التي ولدت إشكاليات في بلد المنشأ وفي بلد المهجر على حدٍ سواء، ففي بلد المنشأ ستعمل على تحيين الفرصة للعبث بأمنهِ وسلامته وتتآمر عليه باعتباره مجتمع جاهلي وكافر، عبر عنهُ سيد قُطب ونعتهُ بالمجتمع الجاهلي الذي لا بد من نسفه وتطهيره وإعادة بناءه من جديد، وفي بلد المَهجر سوف يصعب عليها الاندماج في مجتمع جديد بكل قيمهُ، إضافة إلى نزعة هؤلاء المهاجرين إنهم لا يرون في المهجر إلا "فندق مُستأجر" أو "محطة عابرة" ويمضوا بعدها لإتمام مسيرة مشروعهم الديني تحقيقاً للأمة الخيالية عبر فهم الجماعة/ الأمة.

بالوقت الذي أصبحت فيه الهجرة وانتقال الإسلام إلى الغرب أكبر تحديات العولمة فهي اليوم تُشكل جزء لا يتجزأ من ظاهرة العولمة ذاتها[4] وُظف هذا التحول لصالح العولمة حتماً، وهذا إن دلل فإنما يدّلُ على أن مُشكلة الهجرة في أوروبا وأمريكا هي مُشكلة غربية

---

[1] - د. مهدي فضل الله، مرّجع سابق، ص17.

[2] - عز الدين عناية، مرّجع سابق، ص 96.

[3] - جراهام إي. فوللر، الإسلام والغرب، مرّجع سابق، ص 66.

[4] - أوليفييه روا، عولمة الإسلام، مرّجع سابق، ص 222.

بامتياز، وهاجس تخيُّلي لا أكثر، وهم المسؤولون عنها فيما قدموه من مُغرّيات لاستقطاب الهجرات (فئة الشباب العربي)، ونقول: من الذي أجبر أوروبا على قبولهم؟ وكان بالإمكان إرجاعهم إلى مواطنهم الأصلية بقرار سياسي.

4 - الإرهاب الإسلامي والغرب الاستعماري:

أفشل الواقع العملي طروحات عالمية عديدة مثل أطروحة هنتنغتون بصدام الحضارات أو التنبؤ بنهاية الإسلام السياسي لأوليفييه روا، وهذا الأخير بدأ يتنامى ويتفوّق ويقف على قدميه في بلدان العالم الإسلامي وتسجيل حضور مُلفت في العمل السياسي، بينما أخذ الإرهاب الإسلامي (أو المُرتبط بالإسلام السياسي)، كسلوك جماعاتي يمثل أسفيناً رقيقاً من الطيّف الإسلامي الكُلي حتى أصبح هذا الإرهاب مالكاً لمفاتيح القوة على صعيد العلاقة بين الإسلام والغرب كما أظهر أسامه بن لادن، وكما أظهرت الحرب الأمريكية ضد الإرهاب التي تمخضت عنهُ[1] بعد مصادرة الأديان السماوية الإسلام من جانب السلفية الجهادية، المسيحية من جانب المحافظين الجُدد.

ويُعزى صعود الحركة الإسلاموية المُتشددة إلى البحث عن الانعطاف التاريخي في بلدان العالم الثالث، إضافة إلى ضرورة تبني توجهات ومُثل جديدة تحدد نهجها ومكانها في التغيرات النوعية الحالية التي نشأت بعد انهيار الكتلة الشرقية وزوال الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية[2] فيما رمى الغرب الاستعماري "عصفورين بحجر" وحقق رغبة جماهير الحركات الإسلاموية في صعوّدها ولفت انتباه العالم لها ككاريزما "بطلٌ مُنتظر" من جانب، وكسب شرعية الهجوم على الإسلام بحجة الإسلاموية من خلال سياسات قمع ذلك البطل، أي بتعبير أدق أن الغرب الاستعماري مُتسبب رئيس في بروز الحركات الإسلاموية الرّاديكالية وصانع حصرّي للعُنف الإسلامي[3] وداعم وممْوّل لها، فلو لم يكن هناك عنف من الأخر ما أظهر العنف المُتقابل، ولما كانت ردة الفعل أقسى وأشد.

بينما يرجع تلكؤ العلاقة وارتباكها بين الشرق والغرب والإسلام والمسيحية إلى تدّني هويات المُمثلين لكلا الأطراف، ثم تزامنها وتوقيتاتها، فهي لم تُقام بين أنظمة

---

[1] – جراهام ل. فوللر، الإسلام السياسي ومُستقبله، ترجمة: محمد محمود التوبة، (الرياض: العبيكان للنشر، 2006)، ص15.

[2] – ألكسندر فافيلوف، الإسلاموية في السياسة العالمية المعاصرة، ترجمة: طاهر محي الدين جبر، (بيروت: دار الفارابي للنشر، 2013)، ص36.

[3] – بعد توظيف المواد الاولية لها (السبيبة، الفتاوى، الكتيبات، الخُطب، الانترنت، مواقع التواصل الاجتماعي) والتأكيد على ثقافة الجهل المقدس في صفوف الإسلاميين.

سياسية ذات وزن شعبي أو قاعدة جماهيرية نابعة من بيئة إسلامية صحيحة من جانب الإسلامي، وبين دول أوروبية تعاونية مُجردة من النزّعة الاستعمارية من جانب مسيحي، وبالنتيجة أصبح الإرهاب هو الواجهة السياسية والدينية للعرب والمسلمين، فيما أصبح الجندي الأمريكي المُرتزق هو الواجهة السياسية والدينية للغرب والمسيحية، صاحب ذلك الخطاب طابع قدّاسوي، كان بن لادن يعد مالك مفاتيح الجنان ووجبات الطعام مع الرسول، فيما أعتبر جورج بوش المولود ثانية، نفسهُ حامي المسيحية وحارس ممتلكات الفاتيكان، ومالك صكوك الغفران، حتى فقد الحوار والتعاون قيمتهُ، وتشوّهت الأديان السماوية: الإسلام والمسيحية واليهودية، فجزء من الإرهاب الإسلامي هنا هو ردّة فعل على الاستعمار المسيحي، وثمرّة جهد السياسات الأمريكية ذات النزعة الأصولية البروتستانتية، بينما تُشكل قضية فلسطين صُلب النزاع اليوم بين الأصوليات وحمل مشاعل اللاهوت الديني لكل الأطراف.

5 - أسباب الكرّاهية للإسلام:

ترجع جذور الكراهية للإسلام إلى تاريخ النزاع والذي يُرجح أنهُ يعود لفترة العصور الغائتة بعضهم أرجعها فالبعض أرجعها إلى حقبة سقوط غرناطة في بلاد الأندلس[1] مروراً بالحروب الصليبية المقدسة القائمة بالمفهوم الغربي على أساس هدف واحد وهو القتال من أجل تحرير القُدس[2] من أعداءها، ولم تكن ناجمة عن موّضةٍ ثقافية أو ترّفٍ فكري، بل أن حيثيات الموضوع تمحوّرت كُلها وصُبت في قوالب أيديولوجية يقف وراءها أساطين الفكر والسياسة الغربية ورُهبان وقساوسة المؤسسات الدينية، تمخض عنه ثمة أسباب لتلك الكراهية، هي:-

1- تذهب مدرسة فكرية غربية إلى القول بأن المسلمين أناس محترمون أساساً، ومُحبون للسلام وأتقياء، فما عاد بعضهم يطيق صبراً على كل ما انزلناه بهم - نحن الغربيون - لقد اخترنا نحن معاداتهم؛ لأننا نحسُّ بحاجة نفسية لاتخاذ عدوّ يحل محل الاتحاد السوفيتي المُنهار[3] أي من أسباب الكرّاهية للإسلام هي "عقدة نفسية" تعاني منها أمريكا والغرب وبحاجة لمن يسد لها ذلك النقص والظمأ الروحي المُتعطش للقتل والدمار،

[1] - "التعصب الديني في الغرب يعود إلى حقبة سقوط غرناطة"، مجلة معلومات، بيروت، العدد 104، 2012، ص 78.

[2] - جون ل. اسبوسيتو، مرجع سابق، ص 57.

[3] - برنارد لويس، أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المُقدّس: رؤية المحافظين الجُدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، ترجمة: حازم مالك حسن، (دمشق: دار صفحات للنشر، 2013)، ص 60.

ولا ننسى أن أمريكا دولة وحضارة قائمة على الإغارة والنهب والاغتصاب في نشأتها الأولى ومذهبها (البروتستانتي) عبارة عن مجموعة من المهاجرين من انجلترا وغيرها وعموم أوروبا من بينهم الألماني ليو شتراوس مؤسس تيار المحافظين.

2- شكلت أحداث تفجر برجي التجارة العالمية في 11/ ايلول 2001، تبعهُ احتلال افغانستان (2002)، وغزو العراق (2003)، وظهور التنظيمات الإرهابية هنا وهناك، وصولاً إلى "داعش"[1] كلها أحداث تسببت في التصعيد من كراهية الغرب للمسلمين[2].

3- عدم تمييز الغرب بين الإسلام والفكر الإسلامي، بين الإسلام وبين الحركة الإسلامية المعتدّلة وبين الأخيرة وبين الرّاديكالية منها، ولم يوليا هذا التمييز أية اهتمام، ورفض الدخول في حوار جاد ومنتظم مع ممثلي الجناح المعتدل للحركة[3] فهم لا يريدون معرفة الحقيقة، لأنها ستفقدهم جمهورهم المغمور والمشدود إلى وسائل الإعلام التي تشوّش على عقولهم وتلوّث صورة الإسلام في المخيال الغربي "أعلمة الإسلام"، وربما سيفقدون المادة الإعلامية للجمهور!

4- أسباب تاريخية أو "عداء تاريخي" إذ غالباً ما تتشكل ملامح صورة العرب والمسلمين في ذهن الغرب بالعوّدة إلى العصور الوسطى والحروب الدينية بين الإسلام والمسيحية، فهم ما زالوا حبيسي الماضي، التي غالباً يؤطر تلك الصورة براويز من صُنع المخابرات الأجنبية المعادية، بعيداً عن منطق المنهجية العلمية والدراسات المعرفية، وأشار أحد الباحثين بالقول: لأن الغرب هم الخاسرين من تلك المواجهة العنيفة فأنهم دائماً يصورون الإسلام على نحو سلبي وعنيف ومخيف[4].

5- الإسلام هو المشكلة، يذهب البعض لعودة العداء إلى القرن السابع الميلادي، وقد أعترف الغرب بقِدم العداء الغربي للإسلام، يقول جلوب باشا[5]: أن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط – مشكلة الغرب مع الشرق – إنما يعود إلى القرن السابع الميلادي أي إلى ظهور الإسلام!![6] فيما يذهب مراد هوفمان إلى أبعد من ذلك فيرى أن العداء الغربي

---

[1] – كلمة مختصرة لعبارة (الدولة الإسلامية في العراق والشام).

[2] – فندلي بلينيل، مرّجع سابق، ص 27.

[3] – ألكسندر فافيلوف، مرّجع سابق، ص 38.

[4] – أصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام: استعراض العداء التقليدي للإسلام في الغرب، ترجمة: مازن مطبقاني، (الرياض: مركز الفكر المعاصر، 2013)، ص 47.

[5] – كاتب انجليزي (1897-1986).

[6] – د. محمد عمارة، مرّجع سابق، ص8؛ وكذلك ص 17.

للإسلام يعود لاعتقادات مُسيئة بشخص الرسول واقتناعهم إن الإسلام دين قتال وعدوان[1].

وليس هناك ما يُبرئ ساحة الصهيونية وإعلامها المضلل من رسم تلك الصورة وتحشييد الإعلام ضدهُ.

6 - كراهية المسلمين للغرب:

أصبحت المبادئ السياسية هي من تستحكم بالعلاقات بين الشعوب، أما القيم والمبادئ الدينية فأصبحت من قبيل الادعاءات والشعارات وتوّظيفها لكسب النفوذ والثروات، كمصدر رزق، للغرب وللشرق والعداء والكراهية بين الإسلام والغرب بات يتم بأسلوب ومبدأ سياسي "المعاملة بالمثل"، ولم يؤخذ به بالمبدأ الديني "المعاملة الحسنة"، أو المُجادلة بالتي هي أحسن، فالسياسة غاية الجميع، والدين وسيلة لذلك على ما يبدو بفعل نجاحات الأصولية وإخفاقات الأديان السماوية، ولا شك أن كراهية الغرب عند العرب هي كراهية مُتقابلة، عملت على تشوّيه الصورة الغربية في الذهن الإسلامي، ومن جُملة تلك الأسباب هي:-

1- هيمنة الثقافة الغربية[2] التي شكلت اعتداءً ثقافياً جعلت العرب ينظرون للغرب كعدو أزلي[3] ترسخت تلك الصورة النمطية بفعل التهويل العربي من الغرب وتعميمها، شكل خطراً على الدين والعادات والتقاليد، وتلوّث الذوق العربي العام.

2- لكل فعل رّدة فعل، فالمسلمين وجدوا فعل الكراهية الغربية والعداء الصهيوني فردوا عليهم بالمثل، دون حسابات منطقية.

3- شكلت القضية الفلسطينية البراويز التي أحاطت صورة الغرب في الذهنية العربية والإسلامية، فأغلب العرب يعتقدون بشكل جازم وقاطع إن الغرب هو الذي ساعد الصهيونية للاستيطان في فلسطين واغتصاب أرضها.

4- أسباب تاريخية: كانت مخلفات الحروب الصليبية التي نقلتها المؤسسات الدينية إلى البيوت قد جعلت الكراهية تتفاعل خلاياها في الوجدان العربي والإسلامي ضد الغرب، قضية تربية أسرية داخل المجتمع الاسلامي المنغلق على نفسه.

---

[1] - مراد هوفمان، الإسلام عام **2000**، (القاهرة: دار الشروق للنشر، 1995)، ص ص 33- 34.

[2] - جراهام إي. فوللر، الإسلام والغرب، مرّجع سابق، ص 116.

[3] - حسين عبد القادر، مرّجع سابق، ص 24.

5- هناك نزّعة معادية للغرب من داخل الإسلام، الغاية منها سياسية وليس دينية خالصة لوجه الله، أي هناك أطراف وحركات إسلامية تحاول اللعب بورقة مقارعة الاستعمار ونشر الإسلام ومحاربة المنكر والإلحاد والثقافة الغربية، الغاية منها كسب منافع ورصيد جماهيري، هذه الدوغمائية صنعت جمهور معادي للغرب ودون أن يعرف هذا الجمهور ما هو سبب العداء ولماذا؟!

بين أسباب كراهية الغرب للمسلمين، والأخيرة للغرب تتضح لنا ثمة ملاحظات أهمها أن هاجس القلق والتخوف هو الذي سيطر على عقول الطرفين وهو الذي انتج عقلية التحريم والتجريم، ثم أن حجم هذه المخاوف غير مقدرة علمياً ولا موضوعياً، كلاها خضعت للتخيَّلات، للتكهنات وقدمتها مؤسسات غير حيادية أو أمنية استخباراتية، أو منظمات تعمل لصالح أطراف معادين أو مأجورين أصلاً، حتى لو خضعت ظاهرة الكراهية املتقابلة لمنهج التحليل السياسي الكمي أو المنهج الامبريقي التجريبي في الدراسات السياسية فهذا لن يستنتج لنا دقة في الوصف والقياس، لأنها قضية شعورية ولن تصيها الأرقام بحيادية لصعوبات الآلية والعينة من المبحوثين والخلفيات الايديولوجية التي يصطفون وراءها.

الاستنتاجات والخاتمة:

يمكن تلخيص الاستنتاجات حول الدراسة بثمة ملاحظات يمكن بلورتها على النحو التالي:

أ - يفتقر موضوع التهديد الإسلامي أو جذور الغضب الإسلامي بدرجة كبيرة للمعلومات الكافية وينقصها أن تميز بين طبيعة وتنوع البعث الإسلامي[1]، فيما يجب على الغرب تجنب إخفاقات "المحللين الموهوبين"، وتجاوز التحليلات الجزئية المبتسرة التي ترسخ صور نمطية مريحة، وتجنب الوقوع في السقطات والتحيزات الأيديولوجية[2] خصوصاً في قضية التهديد الإسلامي وعلاقة الإسلام بالغرب وبالإرهاب، والخروج من قبوّ الافتراضات والتخيّلات الواهمة.

ب - الإسلام ليس ظاهرة سياسية أو دينية مبتدّعة أو معوّلمة ومن ثم يستحيل فهم الإسلام كدين عبر جمع معلومات عن طريق التقارير الأمنية والعيون المخابراتية وقراءات

[1] - جون ل. إسبوسيتو، مرّجع سابق، ص 288.

[2] - المرّجع نفسه، ص 282.

ودراسات "يمنتجها" الـ (C.I.A) أو غيره، فما يفعله الغرب في أوطاننا لا يرتق للبحث عن قيم عليا.

ج – إن الإرهاب مُحرم في الإسلام ويشتمل على عدة أنواع من المحرمات وفق للشريعة الإسلامية، منها الإفساد في الأرض، هتك حرمة النفس البشرية، ترويع الأمنين، وهو بالأساس نقيض الرحمة[1] وهذا ما لم يفهمهُ الغرب بعد أو لا يريد أن يفهمه.

د – تبدو عبارة (استعمال العنف في مكافحة الإرهاب) بأنها أكثر قلقاً ومثار أسئلة تضع بعدها علامات استفهام جمة، فمن سيرّد العنف المستخدم في مكافحة الإرهاب من جانب، وما الذي انتجهُ قانون مكافحة الإرهاب غير ترّقية القتل والعنف إلى مراحل متقدمة!

هـ – نأمل أن يكون مسلمو أوروبا وامريكا مفتاحاً لحل إشكالية الأنا والاخر ومدخلاً لتعاون إسلامي – مسيحي، يتجاوز الهفوّات والأخطاء وثقافة التشهير والتنكيل بالأخر، وبناء شبكة من العلاقات الاجتماعية والسياسية ومد جسور التعاون بين الشرق والغرب، مثلما فعل يهود أمريكا وأوروبا بتحسين علاقتهم مع تلك الدول.

و – على الغرب أن يُعيد النظر بالإسلام وألا يتنكر للإسلام الذي كان صاحب الفضل في نهضتهِ وتقدمه، وعلى المسلمين أيضاً إعادة النظر بالمسيحية كديانة تسامحية والفصل بين الجندي المُحتل وبين السائح الأجنبي أو المواطن العادي، وعدم النظر للمسيحية الصهيونية على أنها هي المسيحية الأم بعينها.

ز – إن الإسلاموفوبيا كمُعضلة هي أكذوبة ومُصطلح مُضخم ومهوّل أعطتهُ الدوائر الغربية الأمنية أكبر من حجمه لتبرير عدوانها داخلياً بعد أن حسمت المعركة خارجياً وإعلان الإسلام "خطراً أخضر" بكل المقاييس وليس هناك ما يُثبت ذلك.

ح – لقد ساعدنا الغرب نفسه على تبرير أن الظاهرة مهولة ومتخيلية ولا تحمل سند علمي، أغلب التقارير التي أُعدت بخصوص الظاهرة نابع من مراكز أمنية ومنظمات صهيونية معادية بالأساس للإسلام والعرب.

ط – نذهب هنا إلى أن الإسلاموفوبيا بحسب عبارة توماس ديلطومب[2] صناعة تخييلية أكثر مما تعطي معنى موضوعي[1] أو حيادي، أو على الأقل دراسة أكاديمية وفق

---

[1] – فرغلي هارون، الإرهاب العولمي وانهيار الامبراطورية الأميركية، (تقديم: سامي فريد)، (القاهرة: دار الوافي للنشر، 2006)، ص ص 44 – 45.

[2] – صحفي فرنسي مستقل متحصل على شهادة الدراسات في التاريخ المعاصر، صاحب كتاب: (الإسلام المتخيّل: التشييد الإعلامي لكره الإسلام في فرنسا بين سنوات 1975– 2005)

احصائيات مصدرها جامعة أو مؤسسة تعليمية لا أمنية، وهذا ما يبدد حجم تلك المخاوف ويُسقط شرعيتها في الواقع العملي المعاش، علاوة على التشكيك بقدرة أفراد/ شبان متدينين مندمجين بالحضارة الغربية أكثر من ثقافة الأم قادمين من وراء البحار بعقليات بدائية ليغزو الغرب وأوروبا المتقدمة، حتى أحداث 11/ سبتمبر فضحت حجم التلفيق والمؤامرة وأوهمت بن لادن وعصابتهِ بقبول ولعب هذا الدور بمقابل.

ي – ساعدت الحداثة الغربية والعوّلمة الاستعمارية على صعوّد نجم التطرّف الديني في البيئات الإسلامية المعاصرة وكذلك في العالم الغربي، فكُل شيء صار يتم بتقنية عالية حتى سلوك القتل أصبح يُبث بتكنولوجيا غربية وكاميرات حديثة وتسجيلات إلكترونية بمعنى أخر أن الغرب هو من ساعد المسلمين على تبني العنف أو قدم لهم المُغرّيات والتدريب والتجنيد والدعم اللوجستي، فيما أصبح مكافحة الإرهاب أشبه بالتدّخل الإنساني على مجتمع بلا إنسانية في ظل الغزو والاستعمار والعولمة الغربية!!

ق – تُظهر الشواهد بأن الإسلاموفوبيا أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الغرب، لكن تقديم إحصائية دقيقة لضحايا التطرّف الإسلامي ستغير الكثيرين منا قناعاتهم بالإسلام الرّاديكالي، فالغالبية العظمى من هويات واسماء قتلى وضحايا الإرهاب والحرب على الإرهاب هم عرب أو مسلمين، ووفق النظرية البراجماتية فهذه هي المؤامرة ضد الإسلام فلا داعي للتخوّف من الإسلام الذي هم صنعوه!! وبالنتيجة نرى ضرورة التخلص من نظرة القدّامة والكف عن الدعوة إلى الجهاد ضد الشيطان الغربي إن لم تتوفر شروط الجهاد بالتمام وبالإجماع مع مراعاة الظروف التي يمر بها المسلمين اليوم والكف بالمقابل عن الدعوة لصحوة غربية لمواجهة الخطر الإسلامي، وتحديد دولة الاستعمار، وفتح افاق التعاون البيني، فالعرب كالغرب يعيشا حالة "خوف متقابل" ولا حل إلا بتجاوز عقدة الماضي والعداء التاريخي، والتخلي عن الدراسات الأمنية والاستخبارية لتقييم حالة العلاقة ومد جسور التعاون باعتبار الإسلام والمسيحية أقرب الأديان السماوية لبعض وأكثرهما انفتاحاً لحوار الأديان.

[1] – د. المبروك الشيباني المنصوري، مرجع سابق، ص 285.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: اللغة العربية:

1- القرآن الكريم والسنة النبوية

2- المعاجم:

- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج3، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994).

3- الكتب:

- إبراهيم نافع، جنون الخطر الأخضر وحملة تشوّيه الإسلام، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2004).

- د. أحمد سعيد نوفل، دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، ط2، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010).

- أشرف عثمان بدر، الصهيونية والغرب من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2016).

- أصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام: استعراض العداء التقليدي للإسلام في الغرب، ترجمة: مازن مطبقاني، (الرياض: مركز الفكر المعاصر، 2013).

- ألكسندر فافيلوف، الإسلاموية في السياسة العالمية المعاصرة، ترجمة: طاهر محي الدين جبر، (بيروت: دار الفارابي للنشر، 2013).

- د. المبروك الشيباني المنصوري، صنّاعة الأخر: المسلم في صورة الفكر الغربي: من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2014).

- أوليفيه روا، عَوْلَمة الإسلام، ترجمة: لارا معلوف، (بيروت: دار الساقي للنشر، 2003).

- أيدوي بلينيل، من أجل المسلمين، ترجمة: عبد اللطيف القرشي، (قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2015).

- انجمار كارلسون، الإسلام وأوروبا تعاون أم مجابهة، ترجمة: سمير بوتاني، (القاهرة: دار الشروق الدولية للنشر، 2003).

- د. برهان غليون، العرب ومعركة السلام، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999)، ص169.

- برنارد لويس، أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المُقدّس: رؤية المحافظين الجُدد واليمين الأمريكي للإسلام المعاصر، ترجمة: حازم مالك حسن، (دمشق: دار صفحات للنشر، 2013).

- بنجامين باربر، عالم ماك المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة: أحمد محمود، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة: سلسلة المجلس الأعلى للترجمة "42"، 1999).

- بول فندلي، لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا، ط5، (بيروت: شركة المطبوعات، 2010).

- جانيس ج. تيري، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: دور جماعات الضغط والمجموعات ذات الاهتمامات الخاصة، ترجمة: حسان البستاني، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2006).

- جراهام إي. فوللر، إيان أو. ليسر، الإسلام والغرب: بين التعاون والمواجهة، ترجمة: شوقي جلال، (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، 1997).

- جراهام ل. فوللر، الإسلام السياسي ومُستقبله، ترجمة: محمد محمود التوبة، (الرياض: العبيكان للنشر، 2006).
- جريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، ط3، (القاهرة: الشروق، 2003).
- د. جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد 11 سبتمبر 2001، (القاهرة: دار الشروق للنشر، 2004).
- جورج م. مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايفانجلكية، ترجمة: نشأت جعفر، ط3، (القاهرة: الشروق الدولية للنشر، 2004).
- جون ل. إسبوسيتو، التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة؟، (القاهرة: مركز المعلومات والدراسات، 1995).
- جون ميرشامير، ستيفن والت، حرب الأفكار واللوبي الصهيوني في أمريكا، ترجمة: مدحت طه، (د. م، د. ت).
- حسام كصّاي، الإسلام الرّاديكالي بين الأصولية والحداثة، (دمشق: دار الفكر للنشر، 2016).
- حسين عبد القادر، "مسلمو أوروبا: أطوار التطرّف والاعتدال"، (مجموعة مؤلفين)، الإسلام الأوروبي صراع الهوية والاندماج، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2010).
- رجب البنا، صناعة العداء للإسلام، (القاهرة: دار المعارف، 2004).
- روجيه غارودي، الولايات المتّحدة الامريكية طليعة الانحطاط: كيف نجابه القرن الحادي والعشرين، ترجمة: صيّاح الجهيم، ميشيل خوري، (بيروت: دار عطية للنشر، 1999).
- روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، تقديم: محمد حسنين هيكل، ترجمة: محمد هشام، ط4، (القاهرة: الشروق، 2001).
- شاكر النابلسي، تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009).
- د. طه حميد حسن العنبكي، نرجس حسين زاير العقابي، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية، (بيروت: منشورات ضفاف، 2015).
- عز الدين عناية، نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2010).
- فرغلي هارون، الإرهاب العولمي وانهيار الامبراطورية الأميركية، (تقديم: سامي فريد)، (القاهرة: دار الوافي للنشر، 2006).
- كارلوتا جيزن، معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب في التوراة والانجيل والقرآن، دراسة وترجمة: أحمد علي أحمد علي، (القاهرة – دمشق: دار الكتاب العربي، 2002).
- مؤمن الهبَّاء، الدين والحرب في زمن بوش، (القاهرة: دار الجمهورية، 2008).
- مراد هوفمان، الإسلام عام 2000، (القاهرة: دار الشروق للنشر، 1995).
- محسن دلول، أميركا الإمبراطورية المُضطربة: هل يصلح أوباما ما أفسده بوش؟، (بيروت: دار الفارابي للنشر، 2009).
- محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي، (دمشق: النفائس، 2003).
- د. محمد عمارة، الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ: دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام، (القاهرة: المركز الإعلامي العربي، 2006).

- د. مهدي فضل الله، الخطاب الغربي المعاصر تجاه الاسلام والمسلمين والخطاب الإسلامي المقابل، (بيروت: دار الهادي للنشر، 2009).

- هاشم صالح، مُعضلة الأصولية الإسلامية، ط2، (بيروت: الطليعة، 2008).

- د. هيثم مناع، "الإسلام في أوروبا إعادة اكتشاف الذات"، (مجموعة مؤلفين)، الإسلام الأوروبي صراع الهوية والاندماج، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2010).

- وجاهة علي إيلي (وأخرون)، التخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا): جذور شبكة التخوف من الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، (واشنطن: المركز التقدمي الأمريكي، 2011).

4- دوريات:

- "التعصب الديني في الغرب يعود إلى حقبة سقوط غرناطة"، مجلة معلومات، بيروت، العدد 104، 2012.

- "المسيحية المتصهينة: أصولها وجذورها: هل كان كالفن يهوديا؟"، مجلة معلومات، بيروت، العدد 104، 2012.

- عبد الغني سلامة، "عصر الثورات العربية: الأسباب والخصائص والتداعيات"، مجلة شؤون عربية، القاهرة، العدد 148، 2011.

- د. فواز جرجيس، "الإسلام السياسي وأمريكا: نصف قرن من التحالف، نصف قرن من العداء"، مجلة المجلة، لندن، العدد 1558، السنة 2010.

- د. معتز الخطيب، "ظاهرة كراهية الإسلام: الجذور والحلول"، مجلة ثقافتنا للدراسات والابحاث، المجلد الخامس، العدد 17، 2008.

- موسى برهومه، "الإسلام الأوروبي أو «أوْرَبة» الإسلام"، صحيفة الحياة، الجمعة، 2015/12/30.

5- الانترنت:

- د. هيثم مناع، "الإسلاموفوبيا والعلمانية الديمقراطية"، على الرابط التالي: *http://www.aljazeera.net*

ثانياً: مصادر اللغات الأجنبية

*-**The Shorter Oxford English Dictionary (**Oxford: Claredon Press. 1955).*

*-Alex p. Schmid**, political Terrorism** (Amsterdam: North -Hol- land: 16, publishing Company, 1983).*